الفن... للجماهير

فرقة تغني للأرض والوطن... والشياح

فرقة موسيقية ومجموعة من المنشدين يجولون المستشفيات والاحياء يغنون الوطن...

غازي مكداشي

في خضم الاحداث التي عصفت بلبنان حبلت العلاقات والمفاهيم والمثل فأفرزت علاقات ومفاهيم جديدة ، واذا كانت الثورات تهز المجتمع فانها بلا شك تبرز تناقضاته وتقلب مفاهيمه وتفرز غثه عن ثمينه ، وبقدر ما نقابل من ظواهر سلبية ، ونزعات اجرامية وسادية متطرفة ، وشراسة (ليس أشدها شراسة الحب ..) نقول بقدر ما تبدو هذه المظاهر السلبية بادية للعيان بقدر ما يقابلها وبكل تواضع ظواهر ايجابية وخاصة في الميادين الاجتماعية ليس أقلها التطوع في خدمة المستشفيات والمحتاجين أو في جمع المؤن وخلافه كما ان ليس اكثرها بريقا تأليف جمعيات الخدمات الاجتماعية .

تبقى السلبيات مستأثرة بالاهتمام والتداول ، فان الذبح وتقطيع الاوصال اكثر اثارة وتداولا من اطعام فم جائع او عزف قطعة موسيقية تهدىء الاعصاب وتهذب العواطف .

من الظواهر الفريدة التي طالعتنا بها الاحداث فرقه موسيقيه ومجموعه من المنشدين يجوبون المستشفيات والاحياء يرفهون عن المصابين ويعنون البطوله والارض والوطن ، هنا حيث اصبح الانسان اكثر ارتباطا واكثر وعيا وشعورا بالمصير وحيث لاول مرة يحس المواطن انه يبني وطنه حقا ويفديه بدمه وبابنائه وبراحته وجوعه ..

هذه الفرقه كانت وليدة فكرة اطلقها مسؤها المهندس المعماري والملحن غازي مكداشي وهو عضو في عدة لجان شعبيه في منطقه الطريق الجديدة ، وبحكم نشاطه هذا وعمله الفني احس بالثغرة في مسيرة الصمود والوعي لدى المواطنين ، وحين اطلق دعوته بفكرة انشاء الفرقه فوجىء بالتجاوب غير المتوقع من جمهرة الشباب الذين وصلتهم هذه الدعوة .

غناء جماعي

□ متى بدأتم بانشاء هذه الفرقه وما هي الاسس التي اعتمدتموها لذلك ؟

● منذ شهرين واثناء عملنا في اللجان الشعبية في المنطقه ، احسست ان هناك نقصا في تفهم بعض الناس لحقيقة الوضع ، وان الدورات التثقيفية المباشرة لا تصل دائما الى كل الناس ، وان من يقدم دمه فداء لقضيته حين يصبح نزيل المستشفيات لا يحس بمدى تعاطف جماهير شعبه مع تضحيته ، كما انه كيف يمكن للاخرين ان يحسوا بتضحية هؤلاء دون مواجهه خيرة تخلق جوا من الوحدة والترابط العضوي ؟ وكيف نحيي البطوله والاستشهاد ؟ وهل افضل من مشاركة الناس والجماهير فنيا بالقضية ؟ ... فكانت الفكرة .

من اجل ذلك اعتمدنا فكرة المنشدين والغناء الجماعي ، وهو هاجسي في الغناء العربي لان جلّ الاهتمام عندنا منصب على الغناء الفردي والقدرة في التطريب ، بينما الغناء الجماهيري فيه مشاركة وتجاوب واكثر تاثيرا وتفاعلا على صعيد شعبي ، فدعونا كل من لديه موهبة موسيقيه وكل من له رغبة في الانشاد ودون التشدد في اختيار نوعية الاصوات واخذنا في الاختيار دون اقفال الباب امام الراغبين .

فرقة للموسيقى والانشاء

□ ما مدى التجاوب الذي قابل دعوتكم وما هي العقبات التي واجهتكم ؟

● كان التجاوب اكبر مما توقعنا بكثير فقد تمت دعوتنا بواسطة اللجان الشعبية والتجمعات الطلابية في المدارس الشعبية ، وكانت مشكلتنا ان كثيرين لم يسبق لهم الاشتراك في عمل كهذا مع رغبتهم الشديدة بذلك ، وان آخرين ممن لهم تجارب سابقة لم يعتادوا العمل الجماعي وبالذات الغناء الجماعي وحين خاب فألهم بالغناء منفردين وهو ما لم نكن نسعى اليه فمنا بمعالجة هذه النزعات الفردية ، بعضهم انسحب وآخرون اقتنعوا ثم فمنا بالتنسيق بين الالآت الموسيقية ووزعنا عليها الادوار غير مغفلين مشاركه العازفين في ذلك ونجحنا برغم كل ذلك ، فتكونت لدينا فرقة موسيقية من ستة عناصر وفرقة انشاد تراوح حول العشرين ، احيانا اكثر واحيانا اقل ، فتيات وفتيان اعمارهم بين ١٣-١٧ عاما ، ووجدنا ان مجرد جمع اعداد من الشباب في عمل كهذا مع المشاهدين والمستمعين حتى اثناء التمارين هو في حد ذاته انجاز خيّر .

العازفون الستة ابرزهم الظاهرة المعروفة في اوساط المقاتلين خاصة : خالد الهبر وهو يعزف على الغيتار وينشد احيانا منفردا ويشبه ظاهرة زينب شعث ومن أشهر ما كتب وانشد « سنزرع في الشياح مليون اقحوانة » وغنى كذلك قصيدة « جفرا » من كلمات عز الدين المناصرة .

هناك ايضا اسامة غندور (غلوت) ، عصام جمال (عود) ، محمد الحافي (ايقاع بنجوز) ، علي الاثاث (ايقاع دربكة) ، حافظ فنيش (ارغن كهربائي) .

للارض والوطن .. والشياح

ويتابع الاستاذ مكداشي :

كانت لدينا مشكلة الاناشيد والكلمات ، كنا نريد ان نشرح القضية شرحا سليما ونغني بالارض والوطن ، فأخذنا نستمع الى كلمات انشدها المقاتلون وكلمات رددوها بعفوية ووجدان ووجدنا فعلا اغنيات ناجحة كلمات وتحلينا ابرزها « في الشياح » ، ثم اخترنا كلمات كتبت عن الاحداث وقمت بتلحينها ، كما دربنا المنشدين على اغنيات سبق تلحينها وتتناسب مع الخط الذي رسمناه ، مستهدفين القرب والادراك العفوي من الجماهير دون اسفاف واستدرار للعواطف .

□ النشاطات التي قمتم بها وهل استطعتم الوصول الى الناس الذين عملتم لاجلهم ؟

● من اكبر مشكلاتنا كانت الخطوة الاولى في الانشاد امام الجمهور الذي عنينا الترفيه عنه ومشاركته واعني المقاتلين الجرحى ، كنا نسمع كلاما كثيرا « السماء تمطر قذائف والناس تقتل وانتم تغنون !... » كانت التجربة جديدة وكنا مضطربين لاثبات وجودنا بالمثابرة والاقناع خطوة اثر خطوة ، وبرغم انشغالي في التلحين والتدريب وحل مشاكل الفرقة كنت مضطرا للاتصال شخصيا بالمسؤولين عن المستشفيات واماكن تجمع الجرحى لاقناعهم بتقديم حفلات ، وكان لي اتصال مع مدير احد المستشفيات الكبرى الذي اعتقد انه فوجىء بطلبي ففي خضم ما كان فيه كان الطلب اليه ذلك أمرا غريبا ومفاجئا .. واعطانا فرصة مشددا على عدم الازعاج ، كانت في الحقيقة تجربة مثيرة وطريفة ، كنا كتظاهرة من طلاب المدارس ولكن يلفها الصمت ، دخلنا المستشفى واعين المنشدين زائغة ، رائحة العقاقير تزكم الانوف والتجربة للفتيان والفتيات كانت مخيفة ، بعضهم قال احسست بقلبي بين قدمي ، اكتفينا بعزف القلوت والعود فقط واخذت اصوات الاناشيد تتسرب في الممرات وبدأ يرتفع صوتنا ، الابواب تفتح والاطباء والممرضات والمرضى يسدون الممرات ونسينا قلوبنا واعصابنا .. ونجحنا ، انتقلنا الى طابق اخر واصبحت مشكلة ادارة المستشفى ان تمنع الجرحى من اللحاق بنا ..

أحد الاطباء الذي سمعنا في المستشفى الاول قدمنا الى المستشفى الثاني ، وفي يوم واحد قمنا باداء خمس حفلات في كل الطوابق ، وصرنا نلبي الدعوات ولا نطلب شيئا الا تأمين مكان الحفلة ، تطورنا وهيأنا اسكتشات تتحدث عن الوضع وتكلمها الاغاني ، قام بتحضير الاسكتشات والاشراف عليها يوسف شامل .

□ وماذا عن الاستمرار ؟

● هذا امر محسوم خاصة ان لدينا امكانية الحركة بالنسبة للمنشدين والعازفين فالفرقة مفتوحة لكل صاحب موهبة ونحن نقدم كل وقت فراغنا للتمارين ، حتى ولو لم نصل الى درجة من الاتقان رفيعة بسبب ان الفرقة مؤلفة من هواة ليست لهم خبرات سابقة ، وبسبب ان الهدف ليس خلق فرقة محترفة وان عناصر جديدة تنضم واخرى تنسحب ، فهدفنا هو في التفاعل مع الجماهير وهو ما نحققه فعلا ، ومع ان انشاء الفرقة كان بسبب الاحداث الا ان نضالات المستقبل ومشاكل الناس التي افرزتها الاحداث وسوف تفرزها سترخمنا بالمواضيع التي تمكننا من الاستمرار .

الفرقة تغني اناشيدها وسط الجماهير

عودة للموسيقى العربية

□ عن غازي مكداشي وعلاقته بالفن ونظرته له ؟

● بدأت في الخمسينات بالعزف على بعض الالات الموسيقية ودرست بيانو في معهد للموسيقى لمدة اربع سنوات وساعدني استاذي انذاك في الالمام بالهارموني واصول التلحين ، وفي اثناء دراستي الهندسة في بلجيكا تابعت دراسة الهارموني للموسيقى الكلاسيكية وكنت في كل ما اعزف وادرس مهتما بالموسيقى الكلاسيكية حتى ان بعض القطع التي الفتها عزفت بالجامعة هناك ، الى ان حضرت احدى حفلات الجاز وكان يشترك مع الفرقة عازف جزائري يلعب على العود ولا انسى اني تأثرت بذلك جدا واكتشفت التشابه بين موسيقى الجاز والموسيقى العربية ، كلاهما يعتمد في احيان كثيرة الارتجال في العزف وهو ما ندعوه بالتقاسيم .. كما ان الايقاع عصب مهم في كليهما والتجاوب بين العازفين هو من اسباب النجاح ، فأحسست بالانسان في هكذا موسيقى ، الموسيقى الكلاسيكية تطورت علميا ووضعت لها القواعد والقوانين ، حتى وصلت الى طريق مسدود ولم يعد العازف سوى آلة متقنة الصناعة والاداء وليس فيها من الخلق الشخصي الا النادر النادر ، اي عقل الكتروني يمكن ان يصبح اي بتهوفن ، العازف العربي خلاق .. وجداني .. والفن خلق ، نلاحظ الان في عزف الهيبيين مثلا وسواهم من الغربيين ارتدادهم عن العلمية في الفن والاتجاه نحو الموسيقى الشرقية والهندية مثلا .

احاول الان الرجوع الى جذور الموسيقى العربية وامكان تطويرها واكره الوثنية في الفن ، ليس كل نشيد وطني بالضرورة مارش عسكري ، وليس كل ما هو سهل الترداد مبتذل ، العازف العربي يلزمه الضبط وعدم الاستطراد والترداد والاسراف في التطريب ، اي التوازن بين الخلق وعدم الفوضى والتشتت ، احس ان كل الناس يجب ان تغني ونفرح ونجد ان الموسيقى والفن في متناول يدها ، الغناء الجماعي هو الاصل ، الاطفال والكبار ، الكل يجب ان يغني ، الاغاني الخالدة هي الاغاني الجماعية ، اغان كثيرة واهازيج واناشيد ولدت في المناسبات ، في المظاهرات بعفوية وصدق وانفعال وهكذا يجب ان يكون الفن ... للجماهير .

□ وماذا فعلت ؟

● لحنت اغنيات مسرحيات « اضراب الحرامية » ، « جحا في القرى الاماميه » ، « القنصلي » ، « بطاقه هويه لمحمود درويش » وسجلت اسطوانه موسيقية باسم « رباعيات عربية » وهي اربع قطع موسيقية حاولت فيها المحافظة على التوازن بين الالات العربيه العازفة ، كذلك لحنت ثلاث اغنيات لمؤسسة غسان كنفاني الثقافية وهنا احب ان اتوقف قليلا ، هذه الاغنيات كنت لسنشدها الاطفال فاعتمدت ان يكون لحنها بسيطا سهل الاداء مرحا مع ان كلماتها تحمل معان ثورية تقدمية وتعمدت ان اسجلها باصوات اطفال عاديين لم تسبق لهم اي تجربة ووجدت انه حتى لو اخطأ الاطفال قاعده او لفظا فليس ذلك مهما ، هناك براءة وعفوية وذلك اهم ...

□ وهل انت متلزم ؟

● ملتزم بالجماهير ... بآمال الفقراء والمغلوبين على امرهم ... أنا منهم ..

« ابو الخيزران »

جولة مع الاناشيد التي تقدمها الفرقة

في الشياح ... مدينة البطولة
في الشياح ... مصنع الرجوله
زرعوا الموت ... قتلوا الطفل
هدموا البيت ... حملنا السلاح
كلمات والحان جمال عيّاش

ليمونة وزهرة ... ووردة جوريّه
وانت يا ارضي ... عالي عليي
من اغنيات مؤسسة غسان كنفاني الثقافية
كلمات خليل اليوسف الحان غازي مكداشي

يحكون في بلادنا ... يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى وعاد في كفن
كلمات محمود درويش الحان غازي مكداشي

بيروت
غسلت عيبيها اليوم بافراح الفقراء
وسقف ازهار شوارعها
ورمت اشلاء خطاياها
ومشت تسألـــــــا
حين افاقت زنبقه الشهداء
ان تحلف الاّ بنساها
كلمات الياس لحود الحان غازي مكداشي